الأنبياء

في الأديان الثلاثة

الإسلام، النصرانية، اليهودية

دكتور
أحمد محمد محمود سليمان
الأستاذ المشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية
بالإحساء

مقدمـة البحث :

تعتبر عقيدة النبوة ـ وهى التصديق بأن الله ـ عز وجل ـ ينزل كلامه ويلقى بأمره إلى إنسان يختاره ويصطفيه من بين خلقه ليخبر الناس بمراد الله منهم وما يرتضيه لهم ـ من أهم العقائد وأعظمها خطرا بعد الإيمان بالله ـ سبحانه وتعالى .

وإذا كانت عقيدة الإيمان بالله ـ سبحانه وتعالى ـ واليقين به أمرا فطريا فى النفوس حتى إنها ـ أحيانا ـ قد لا تحتاج إلى برهان فإن قضية الإيمان بالنبوة والرسالة من القضايا التى قابلتها البشرية بكثير من الإنكار والرفض وعليها ينبنى استجابة البشر لدعوة الله والدخول فى طاعته .

فإذا ما آمنوا بحقيقة النبوة وأقروا للداعى إلى الله بنبوته وأقام لهم الدلائل والبراهين على صدقه وأمانته أذعنوا لشرع الله واتبعوا منهجه واستجابوا لدعوته .

وإذا كانت الأخرى ـ وهى عدم الإيمان بنبوة الداعى إلى الله ـ كان الرفض والإنكار من جانب الناس .

ومن هنا كان لا بد أن يكون النبى فى أعلى درجات الكمال البشرى وأن يكون متحليا بأكمل الصفات البشرية لا سيما الصدق والأمانة فهما جوهر النبوة والأساس الذى يقوم عليه كيانها . فلو أن البشر أحسوا من النبى كذبا أو خيانة لكان لهم العذر فى رفضه وعدم اتباع دعوته لأنه غير أمين فيما يقول بل ومن المحال ـ فى حقه تعالى ـ أن يرسل كذابا ليبلغ الناس شرعه ومنهجه وأن يأتمن خائنا على دعوته ورسالته .

وإذا كان الله ـ عز وجل ـ يؤيد رسوله بالمعجزات الخارقة للعادات تصديقا له فى رسالته ودعوته فإن ذلك بمثابة قوله: «**صدق عبدى فى كل ما يبلغ عنى**» ولا شك أن تصديق

الكاذب محال فى حقه تعالى . وبالتالى فتأييد الخائن أو الفاسق غير جائز فى حقه ـ تعالى لأن فى ذلك تقريرا له على خيانته وفسقه .

ومن هنا ندرك السر فى أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما بدأ دعوته استوثق لنفسه وأقام الحجة على قومه بأخذ اعترافهم وإقرارهم له بصدقه وذلك عندما صعد على أحد جبال مكة ونادى: «**يا بنى فهر . يا بنى غالب يا بنى كذا يا بنى كذا ...» حتى اجتمعوا عليه فقال لهم أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا وراء هذا الوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا . قال فإنى رسول لكم بين يدى عذاب شديد .»**

ومن هنا كان ينبغى أن تكون صورة الرسول ناصعة البياض فى نفوس الناس فإذا حدث فيها تشويه فى أى كتاب من الكتب أو فى أى دين من الأديان فإن ذلك يكون تحريفا فى هذا الدين أو فى ذلك الكتاب .

ومن هنا ندرك أهمية البحث فى هذا الموضوع الجليل وتجليته ودراسته فى الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام لنرى وجه الحق فى ذلك باعتبار أن هذه الأديان الثلاثة تقر بمبدأ واحد وهو الإيمان بالوحى فهناك ـ إذن ـ قاسم مشترك بينها .

فإذا بحثنا هذه القضية فى كتاب كل دين من هذه الأديان تبين لنا الحق من الباطل وعرفنا الهدى من الضلال .

وبذلك ندرك ما حدث فى بعضها من تحريف كلمات الله وتبديلها وبذلك يتعين على الناس اتباع الحق وهو دين الله الخالص الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ونبذ كل ما عداه .

والله الهادى إلى سواء السبيل .

الأنبياء عند اليهود :

١ ـ تمهيد :

سنعتمد ـ هنا ـ فى عرضنا لصورة النبوة والأنبياء عند اليهود على كتابهم المقدس وهو التوراة وهى التى يسميها النصارى «العهد القديم» وهى تمثل جزءا من كتابهم المقدس وذلك لأن فى رأينا أن أساس أى دين من الأديان هو كتابه المقدس. فإذا كان هذا الكتاب هو ما نزل من عند الله حقا كان هذا الدين حقا. وأما إذا كان قد أصابه التحريف والتبديل ولعبت به أهواء أتباعه فغيروا وبدلوا حسب ما تأمرهم به أهواؤهم كان الدين الذى يعتنقونه دينا محرفا وليس هو الحق الذى نزل من عند الله عز وجل .

ولعل من المسلم به لدى قارئى هذا الكتاب المقدس هو أنه يخرج بحقيقة لا يختلف فيها اثنان ممن يقرءون هذا الكتاب هى أنه لا يشعر بقداسة للدين ولا احترام للأنبياء الذين يعرض لهم بل ينتابه شعور مناقض لمفهوم الدين وغايته فى الإنسان وهو شعور الازدراء لهؤلاء الأنبياء والحط من شأنهم وانتزاع هيبتهم من النفوس فضلا عن اتباعهم واتخاذهم قدوة حسنة والائتمار بأمرهم والانتهاء بنهيهم واعتبارهم مثلا عليا للبشرية فى سعيها نحو الارتقاء الخلقى وتحصيل الكمال الإنسانى واتخاذهم وسيلة فى معرفة الله عز وجل ونجاتهم فى الآخرة .

وذلك أن هذا الكتاب المقدس يعرض لنا الأنبياء فى صورة شائنة ذميمة لا تليق بمكانتهم عند الله وعند الناس بل تتنافى تنافيا تاما مع الهدف الذى جاءوا من أجله وهو هداية البشرية وإنقاذها من مهالك الرذيلة والأخذ بأيديها للتخلق بالأخلاق الفاضلة الحميدة فهم معلمو البشرية الإيمان والأخلاق الكريمة والتعالى على الرذيلة والقبائح ومرشدوها إلى طريق الخير والنجاة .

فلا يعقل ـ أبداً ـ عند كل ذى عقل سليم أن تكون هذه مهمتهم وتلك رسالتهم التى بعثوا من أجلها ثم يوصفون بتلك الصفات الشائنة القبيحة التى يتسامى عنها الإنسان العادى بل يأباها وينفر منها أدنى الناس شأنا وأقلهم قدرا فضلا عن صفوة الخلق أنبياء الله .

وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على أمرين ظاهرين: أولها أن هذا الكتاب قد حرف عما كان قد نزل على موسى ـ عليه السلام ـ وأنه قد تعمد تحريفه وثانيها: أن هؤلاء الذين قد قاموا بتحريف هذا الكتاب وكتابته قد تجردت نفوسهم من أى قداسة دينية ومن أى احترام للأنبياء .

ولذلك لا يجد القارئ لهذا الكتاب أدنى إشارة إلى اليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وثواب وعقاب مع أن شريعة موسى ـ عليه السلام ـ جاءت لتدعو إلى الإيمان بالله واليوم الآخر شأنها شأن غيرها من شرائع الله عز وجل التى أنزلها على أنبيائه .

والمعهود فى التحريف أن يحرف الإنسان كتابه لصالح دينه وعقيدته ولكن ما نجده فى تحريف اليهود لكتابهم أنهم يبرزون أنبياءهم فى صورة غير كريمة وغير لائقة بأنبياء الله الذين اختارهم لتبليغ رسالاته إلى خلقه وليكونوا لهم قدوة حسنة وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على ما فى طبيعة هذا الشعب من كراهيتهم للدين ـ كما قلنا ـ وللأنبياء الذين أتوا لهم بهذا الدين . وهذا يفسر لنا موقفهم منهم على طول التاريخ من قتل فريق وتكذيب فريق آخر وأيضا لكى يسهل عليهم تبرير ذنوبهم ومعايبهم عندما ينكر عليهم منكر أو يعترض عليهم معترض .

فعداؤهم للأنبياء وعدم احترامهم للنبوة والأنبياء يجرى فى عروقهم مجرى الدم ولعل هذا يفسر لنا كثرة إرسال الرسل فيهم لعنادهم ونفورهم من الدين وميلهم إلى تقديس المادة والإيمان بها .

ولهذا جاء القرآن الكريم كتاب الله الخاتم والمهيمن على ما قبله فصحح لهم وبين لهم الحق من الباطل وفضح موقفهم من التوراة ومن تحريفها وموقفهم من الأنبياء من القتل والتكذيب .

والمتأمل فى هذه الصورة التى يعرض فيها الكتاب المقدس أنبياء الله يجد أنها تنقسم إلى قسمين أساسيين: فهو إما يعرضهم فى صورة تمتزج فيها أفعالهم بالخبل والجنون وبالكثير مما هو شاذ وقبيح مستقذر تنفر منه النفوس وذلك عند تنبئهم وتعرضهم لتلقى الوحى ، وإما يعرضهم فى صورة العاصين الذين يفعلون الرذيلة بل ويرتكبون أرذل الكبائر والفواحش وأقبحها. وكل هذه أمور تنزع من النفوس احترامهم وتدعو إلى الإعراض عنهم والنفور منهم .

القسم الأول :

فى هذا القسم يصور الكتاب المقدس الأنبياء حال تنبئهم وتلقيهم الوحى وكأن النبوة أمر مسترذل ينبغى أن يقترن بكل ما هو مرذول من الأفعال الشاذة والقبيحة بل والمخالفة لأبسط قواعد الذوق والتى قد تصل أحيانا إلى ارتكاب الفاحشة مما يدل على فقدان النبوة لجلالها وطهارتها فى نفوس هذا الشعب الذى بلغت به الجرأة مبلغا يبرز فيه أنبياء الله بهذه الصورة الشائنة وذلك مما يبعث على الدهشة والاستغراب ولكن الدهشة والاستغراب يزولان عندما يتذكر الإنسان ما سجله الله عليهم فى كتابه العزيز:

كقولـه تعـالى : « كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ »[١] .

ونحن سنعرض هنا نماذج مما ورد فى الأسفار المقدسة تصور أنبياء بنى إسرائيل أثناء تنبئهم وعندما غشيهم الوحى .

فها هو ذا «شاول» لا يتنبأ إلا بعد أن يتجرد من ملابسه ويتعرى بين الناس كعادة غيره من الأنبياء وكأن العرى هو إحدى وسائل استجلاب النبوة وقرين من قرائن حلول روح الله .

فذهب «شاول» إلى هناك إلى «نايوت» فى الرامة فكان عليه أيضا روح الله فكان يذهب ويتنبأ حتى جاء إلى «نايوت» فى الرامة فخلع هو أيضا ثيابه وتنبأ هو أيضا أمام «صموئيل» وانطرح عريانا ذلك النهار كله وكل الليل ـ صموئيل الأول ١٩ : ٢٤ .

وبالمثل سار «أشعياء» عريانا بين الرجال والنساء والأطفال بعورته الغليظة ثلاثة أعوام استجابة للوحى كما يدعون[٢] .

---

(١) المائـدة آية ٧٠ .

(٢) النبـوة والأنبياء للمهندس أحمد عبدالوهاب ص ٢٠ .

وقد كان الوحى إلى «حزقيال» أن يأكل من عجين الشعير لمدة ٣٩٠ يوما وقد نجسه ببراز الإنسان فيكون ذلك آية لبنى إسرائيل .

«... وخذ أنت لنفسك قمحا وشعيرا وفولا وعدسا ودخنا وكرسنة وضعها فى وعاء واحد واصنعها لنفسك خبزا كعدد الأيام التى تتكئ فيها على جنبك ثلاثمائة يوم وتسعين يوما تأكله وتأكل كعكا من الشعير على الخرء الذى يخرج من الإنسان تخبزه أمام عيونهم . وقال الرب هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم النجس بين الأمم الذين أطردهم إليهم فقلت آه يا سيدى الرب ها نفسى لم تتنجس ومن صباى إلى الآن لم آكل ميتة أو فريسة ولا دخل فمى لحم نجس فقال لى انظر قد جعلت لك خثى البقر بدل خرء الإنسان(٣) حزقيال ٤ : ٩ ـ ١٥

هذه صورة عجيبة تعرضها لنا الأسفار المقدسة لهؤلاء الأنبياء ولكن هناك ما هو أعجب من ذلك . فها هو ذا «هوشع» فى أول حالات النبوة التى مارسها يصدر إليه أمر إلهى بمعاشرة امرأة زانية لكى تفرخ له أولاد زنى كما يزعمون .

«أول ما كلم الرب «هوشع» قال الرب لهوشع اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى لأن الأرض قد زنت تاركة الرب فذهب وأخذ «جوسر» بنت «دبلايم» فحبلت وولدت له ابنا ثم حبلت وولدت له بنتا هوشع ١ : ٢ ـ ٦»(٤) .

واستمر «هوشع» يتردى فى طريق الزانيات حيث كانت نبوءته التالية :

«تفرض عليه عشق امرأة متزوجة برجل يحبها لكنها تخونه وتزنى بآخرين حتى يأتى «هوشع» ويخطفها من تحت رجلها .

[«وقال الرب لى اذهب أيضا أحبب امرأة حبيبة صاحب وزانية كمحبة الرب لبنى إسرائيل وهم ملتفتون إلى آلهة أخرى ـ هوشع ٣ : ١](٥).

---

(٣) النبوة والأنبياء للمهندس أحمد عبدالوهاب صـ ٢١ .
(٤) نفس المرجع السابق ص ٢٢ .
(٥) نفس المرجع السابق ونفس الصحيفة .

إن هذا الذى يذكره الكتاب المقدس أمر غريب حقا يستدعى من كل ذى عقل وقفة تأمل وتدبر. فهل البارى سبحانه وتعالى عما يقولون يأمر بالفحشاء ؟ وهل من يفعل ذلك الفعل الشنيع يستحق أن يوقر ويحترم فى نفوس الناس فضلا عن أن يطاع ويتبع ؟ ولذلك يعقب الأستاذ أحمد عبدالوهاب على ذلك الموقف بقوله: «إن هناك بديهية يتفق عليها المؤمنون بالله ورسالاته هى أن أنبياء الله ورسله هم مثل عليا من البشر جعلهم الله أهلا للاقتداء ومن ثم وجب أن تكون صورهم أمامنا دائما غاية فى الحسن والصفاء. فإذا حدث وألقيت شبه حول سلوكهم أو التصق بقصصهم شئ من المثالب كان من اللازم تمحيص هذا القول وذلك حتى يتميز الخبيث من الطيب ونستبين بذلك حقيقة المرسلين»[٦] .

القسم الثانى :

وحال الأنبياء فى هذا القسم ليس أفضل من سابقه بل هى أقبح وأسوأ وذلك لأن الكتاب المقدس يبرزهم فى صورة العاصين الذين يفعلون المنكرات بل ويرتكبون كبائر الفواحش والرذائل المنافية لحسن الأسوة بل والمجرئة على الشرور والمفاسد .

فهو يذكر أن موسى وهارون عصيا ربهما ولذلك حرم عليهما دخول فلسطين بل إن هذا الكتاب المقدس يصور «هارون» بصورة المشرك بالله الذى أضل شعبه وذلك بأن صنع لهم عجلا وأمرهم بعبادته من دون الله . جاء فى الإصحاح الثانى والثلاثين من سفر الخروج :

«ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على «هارون» وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقال لهم «هارون» انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وائتونى بها فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى «هارون» فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى اصعدتك من مصر فلما نظر «هارون» بنى مذبحا أمامه ونادى «هارون» وقال: «غدا عيد الرب» فبكروا فى الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب»[٧] .

(٦) نفس المرجع السابق ص ٢٨ .

(٧) الكتاب المقدس سفر الخروج الإصحاح ٣٣ ص ١٢٩ وما بعدها .

هكذا ينسب كتاب اليهود إلى «هارون» هذه الفعلة النكراء ولكن القرآن الكريم يبرئ «هارون» من هذه التهمة ويبين الحق فى ذلك وهو أن الذى أضل بنى اسرائيل بصنع العجل هو السامرى وليس «هارون» وذلك.

قال الله تعالى : « وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ »(٨) .

وهو ينسب إلى نبى الله سليمان ـ أيضا ـ نفس التهمة وهى صنع تماثيل لتعبد من دون الله عز وجل. جاء فى سفر الملوك الأول الإصحاح الحادى عشر .

«وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه فذهب سليمان وراء «عشتورت» إلاهة الصيدونيين و «ملكوم» رجس العمونيين وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه ـ حينئذ بنى سليمان مرتفعة «لكموش» رجس الموآبيّين على الجبل الذى تجاه «أورشليم» ولمولك رجس بنى عَمّون. وهكذا فعل بجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن فغضب الرب على سليمان لأنه قلبه مال عن الرب إلهٰ إسرائيل الذى تراءى له مرتين وأوصاه فى هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصاه به الرب»(٩).

أما عن داود فإننا نجد الكتاب المقدس يعرضه فى صورة الرجل الزانى الذى يسلك طريق الخيانة فيزنى بامرأة أحد جنوده فى غيابه ثم يرسل به إلى ميدان القتال، ويرسل إلى

---

(٨) طه آية ٨٣ ، ٨٤ .

(٩) سفر الملوك الأول الإصحاح ١١ ص ٥٥٣ .

قائده «بوآب» مكتوبا يقول له فيه «اجعلوا «أوربا» فى وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت»[١٠] وذلك لكى يتخلص منه ويضم زوجته إليه .

وأما لوط فيعرضه فى صورة لو نسبت إلى رجل فاسق لما قبلها ولنفر منها خجلا وحياء فكيف بنبى من أنبياء الله جاء ليحارب الفاحشة فى قومه وقد أهلكهم الله بسببها بعد أن نجاه الله منها فكيف يعقل أن يأتيها هو فى أخس صورها وهى الزنى بابنتيه بعد أن يسكر من الخمر ؟

جاء فى الكتاب المقدس: «وصعد «لوط» من «صُوغر» وسكن فى الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن فى «صُوغر» فسكن فى المغارة هو وابنتاه وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض هلم نسق أبانا خمرا ونضطجع معه فنحيى من أبينا نسلا فسقتاه خمرا فى تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى. فاسقيه خمرا الليلة أيضا فادخلى واضطجعى معه فنحيى من أبينا نسلا فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة أيضا وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر ابنا ودعت اسمه «مُو آب» وهو أبو «المُوآبيين» إلى اليوم والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه «بَنْ عَمِّى» وهو أبو «بنى عَمُّون» إلى اليوم»[١١].

هكذا يصور الكتاب المقدس نبى الله «لوطا» لكى يحط من شأن «المُوآبيين» و «العمُّونيين» ليلحق بهم العيب والعار بأنهم من أصل زنى وهم أجناس أخرى غير بنى إسرائيل.

---

(١٠) سفر صموئيل الثانى الإصحاح الحادى عشر ص ٤٩٧ وما بعدها .

(١١) سفر التكوين الإصحاح التاسع عشر ص ٢٩ .

الأنبياء عند النصارى

تمهـيد :

قبل أن نعرض لرأى النصارى فى الأنبياء ينبغى أن نشير إلى أمر واضح وهو أن توراة اليهود بأسفارها التسعة والثلاثين تمثل جزءا من الكتاب المقدس عند النصارى لأن عيسى ـ عليه السلام ـ ما جاء لينقض التوراة ولكن جاء مصدقا لها. فالكتاب المقدس عندهم قسمان التوارة وتسمى «العهد القديم» و«العهد الجديد» وهو يشمل الأناجيل الأربعة ورسائل الرسل . والكتاب المقدس بعهديه طبعته الكنيسة فى مجلد واحد وبذلك يكون كل ما جاء فى توراة اليهود عقيدة للنصارى .

ولذلك يقول الأستاذ/ عمر سليمان الأشقر : « ... والنصارى ليسوا بأفضل من اليهود فى هذا فقد نسبوا إلى الأنبياء والرسل القبائح وذلك بتصديقهم بالتوراة المحرفة المغيرة الموجودة اليوم»(١٢) .

ويقول الأستاذ/ محمد رشيد رضا: « .. والنصارى منهم ـ أى من أهل الكتاب ـ يجعلون معاصى الأنبياء دليلا على عقيدتهم وهى أن المسيح هو المعصوم وحده لأنه رب وإله ولأنه هو المخلص للناس من العقاب على الخطيئة»(١٣) .

وفى الحقيقة أن نظرة النصارى إلى أنبياء الله نظرة سيئة للغاية وذلك لأنها لم تقتصر على مجرد التصديق بما نسبه إليهم العهد القديم من الذنوب والمعاصى بل تجاوزت ذلك إلى رميهم بالجهل بالله وبالوحى فهم لم يعرفوا الله وبذلك سقطت البشرية التى سارت وراءهم فى الهاوية .

---

(١٢) الرسالة والرسالات للأستاذ/ عمر سليمان الأشقر ص ١٠٥ .

(١٣) الوحى المحمدى ص ٥١ للأستاذ / محمد رشيد رضا .

ونحن لكى ننصف القوم سنعتمد فى توضيح رأيهم على ما كتبه المسيحيون أنفسهم وعلى ما ورد فى كتابهم المقدس حتى لا نتجنى عليهم فيما نذهب إليه وحتى لا نتزيد عليهم بشئ لم يقولوه وذلك كما فعلنا مع اليهود فى عرضنا لآرائهم من خلال ما جاء فى كتابهم المقدس وبذلك يظهر لنا وجه الحقيقة المشرق كما جاء بها الإسلام من تكريم الأنبياء ووضعهم فى الوضع الذى يتناسب والهدف الذى جاءوا من أجله .

موقف النصارى من الأنبياء :

إن المتأمل فى موقف المسيحيين من النبوة والأنبياء تنتابه الدهشة والاستغراب ويأخذه العجب فى ذلك .

وذلك لما يرى فى هذه الآراء من تناقض ومنافاة للعقل والمنطق ولما فيها من تهافت ومخالفة للواقع وللحقيقة التى يقوم عليها جوهر النبوة .

فهم يجردون أنبياء الله السابقين على عيسى من كل معرفة بالله عز وجل ولذلك لم يتم الإعلان الإلهى على أيديهم - فالله لم يعلن عن نفسه لهؤلاء الرسل بل ظلوا جاهلين بالله حتى جاء عيسى - عليه السلام - وتم على يديه الإعلان الإلهى .

وقد استغلوا - فى ذلك - ما نسبته التوراة «العهد القديم» إلى الأنبياء من الذنوب والمعاصى لكى يؤيدوا ما يذهبون إليه من جهلهم بالله - بل حتى بكلمات النبوة فكانت تمر على شفاههم دون أن يعقلوا لها معنى .

ونحن سنعتمد - فى بيان ذلك - على ما كتبه المسيحيون المعاصرون أنفسهم وهم متعصبون لدينهم حتى لا أكون قد تجاوزت المنهج العلمى فى ذلك وسأترك لواحد منهم وهو «مكس ميشيل» عرض هذه القضية بنفسه ولا يكون لى إلا مجرد الاستنتاج أو التعليق لأن ذلك أدعى إلى الإنصاف وأبين للحقيقة.

يقول مكس ميشيل فى كتابه «صورة الله» : «من عرف الله ؟ وإذا فرغنا من السؤال «من رأى الله ؟» وانتهينا أن أحدا لم يره قط وجدنا أنفسنا فى مواجهة سؤال أشد قوة وتحديا لتفكيرنا وإيماننا وهو: «من عرف الله ؟» فإذا كان الله لم يره أحد فإن الله لم يعرفه أحد. وإذا كان

الأنبياء لم يروا الله فهم بالتالى لم يعرفوه. وإذا كان الأنبياء هم واسطة تعريف البشر بالله وهم أنفسهم لم يعرفوه فهذا معناه أن البشرية لم تتعرف على الله .

وقد سقط كل البشر وكل الأنبياء فى الحفرة وشهد «داود» فى المزامير «ليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحد حتى الأنبياء» مزامير ١٤ : ١ . فموسى عصى ربه فى برية صين[١٤] الأمر الذى استوجب لأجله الحرمان من دخول أرض الموعد بعد رحلة شاقة مع شعب إسرائيل طولها اربعون سنة وداود النبى زنى مع امرأة جاره وأحد ضباط جيشه «أوريا» الحثى فى غيابه فى الحرب . وخادع يعقوب أخاه عيسو[١٥] وصار كل واحد منهم محتاجا أن يرفع عنه وزره الذى ينقض ظهره وأن يغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

والنتيجة الحزينة التى لا بد أن نخرج بها من الإجابة على هذين السؤالين هى أن البشرية التى سارت وراء الأنبياء ابتغاء الوصول إلى الله سارت وراء من لم يروا الله ولم يعرفوه»[١٦] .

هذه صورة يرسمها الكاتب لأنبياء الله وفيها من الجرأة على أنبياء الله عز وجل ما لا يخفى على كل إنسان مؤمن عاقل وهى فى الوقت نفسه تحمل تناقضا عقليا صارخا فهى تأتى على حقيقة النبوة من أساسها .

وذلك لأن الأنبياء إذا كانوا لم يعرفوا الله ـ عز وجل ـ فضلوا وأضلوا أو سقطوا فى الحفرة ـ على حد تعبير الكاتب نفسه ـ فما معنى إرسالهم ؟ وما حقيقة نبوتهم ؟ وإذا كان المرسل ـ وهو الله عز وجل ـ لم يعرفهم بنفسه فكيف يطلب منهم دعوة العباد إلى عبادته وهو غير معروف لديهم ؟ أو يعبد مجهول ؟ أليس هذا تناقضا مع أبسط قواعد العقل ومبادئه ؟ .. ويقول فى موضع آخر : «فكل الأنبياء لم يفهموا الله ولم يعرفوا مشيئته فقد كانوا جميعهم جالسين فى الظلمة وظلال الموت»[١٧] .

(١٤) سفر العدد ٢٧ ،١٤ .

(١٥) سفر التكوين ٢٧ : ١٩ .

(١٦) كتاب صورة الله لمكس ميشيل طبع القاهرة سنة ١٩٨١ ص ٩ ، ١٠ .

(١٧) صورة الله لمكس ميشيل ص ٢٧ .

« ... ولهذا فإن حجم الإعلان الإلهى الذى منح البشرية بواسطة الأنبياء آنذاك كان كحجم كمية النور التى تمنحها بدايات شعيرات الفجر الرقيقة فى حلكة الليل وظلامه الدامس .

كان النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان آتيا إلى العالم ولم يكن قد أتى بعد وكان النور سيضئ فى الظلمة كانفجار رهيب يمسح الظلمة ويبهرها إشراقه ولن تستطيع الظلمة أن تدركه ولكنه لم يكن قد أضاء بعد»(١٨) .

والكاتب يرمى من وراء ذلك ـ كما هو واضح من النص ـ إلى أن الإعلان الإلهى الصحيح لم يحدث على أيدى الأنبياء وإنما حدث على يد المسيح فقط فهو الذى أعلن عن الله حقيقة أما غيره من الأنبياء فهم جهلاء بالله ولم يعرفوه والمؤلف يسوق فكرته هذه فى عبارات خيالية غريبة خالية من مدلولاتها ودون أن يسندها أى دليل من أى نوع من أنواع الأدلة بل راح يذكر عبارات إنشائية خالية من أى صبغة عقلية أو منطقية تكون مقبولة لدى العقل ومقنعة له .

ودون أن يفكر الكاتب فيما يترتب على ذلك من العبث والهزل فى جانب مقام الألوهية وذلك لأن الله يكون قد أرسل رسلا بدون هدف فهو يكون قد طلب منهم أن يدعوا العباد إلى معرفته التى لم يعرفهم بها ولم يطلعهم على حقيقتها بل ظل حارما الأنبياء منها إلى أن أعلنها على عهد المسيح . أليس هذا عبثا وهزلا يتنزه عنه مقام الألوهية التى جاء المسيح مبلغا عنها ؟ إن الكاتب هنا يرتكب مخالفات كثيرة سواء ضد العقل أو الدين لكى يثبت فكرة لا حقيقة لها ولا دليل عليها وهى أن المسيح ابن الله جاء من عند الله ليخبر الناس عن حقيقته لأنه الوحيد الذى رأى الله أباه تعالى الله عما يقول علوا كبيرا . وهو يستغل فى ذلك ما جاء فى العهد القديم من وقوع الأنبياء فى الذنوب والمعاصى ليرميهم بالجهل وعدم الاستحقاق لمعرفة الله عز وجل. بل وبعدم فهمهم حتى للكلمات التى نطقوا بها عن الوحى فهم تنبئوا ولكن لا يدرون عن أى شئ يتنبئون ولا شك أن هذا أسوأ تصوير لأنبياء الله عليهم السلام ـ وفى الوقت نفسه فيه انتهاك شنيع لحرمة النبوة بل وتجرؤ على مقام الألوهية ذاته فإذا كان هؤلاء

---

(١٨) نفس المرجع السابق ص ٢٨ .

الأنبياء لا يدرون عن أى شئ يتنبئون فأولى بهم أن لا يستحقوا أن يوصفوا بهذا الوصف لأن نبوتهم باطلة وبالتالى ما أتوا به من الكتب مبلغين إياها عن الله ـ عز وجل ـ تكون باطلة فتفقد المسيحية جزءا من كتابها المقدس «وهو العهد القديم» لأنه نزل على أنبياء قبل عيسى وهم لا يعرفون عن أى شئ يتنبئون .

يقول الكاتب: «... والتصور الذى صادف الوحي فى العهد القديم ـ فى إعلان الله لم يكن لعيب فى الوحي والإلهام ولكنه لمحدودية أو انعدام الرؤية فى الجهاز الذى يستقبل الوحى أى النبى نفسه»(١٩) .

ويقول: «والله لم يتغير فى العهد الجديد عنه فى العهد القديم فهو هو أمس واليوم وإلى الأبد . ولكن رؤيتهم فى العهد القديم وإدراكهم وفهمهم لله هو الذى كان قاصرا إلى أن جاء النور الحقيقى وحيد الأب الذى رأى الله فخبر عنه فرأينا إله المحبة أبا يسوع ربنا .

هذا من جهة رؤيتهم ومعرفتهم لشخصه وإدراكهم لمشيئته وتدبيره فى حياة الناس وهذا بدوره انعكس على أسلوب حياتهم فقتلوا وأحرقوا وأهلكوا .

وأما من جهة الكلمة النبوية فقد نطقوا بها دون أن تمر على إدراكهم فقد تكلموا مسوقين من الروح القدس وهم لا يعرفون بالضبط عن أى شئ يتنبئون»(٢٠) .

هكذا تبدو صورة الأنبياء فى الفكر المسيحى وأبسط ما يقال فيها أنها مناقضة للعقل وللدين فبدلا من أن يبدو فى صورة الصفاء والنقاء وقد اتصفوا بكل كمال إنسانى لأنهم هم الصفوة المختارة من الخلق اختارهم الله ليكونوا مصابيح هدى وقدوة حسنة للبشرية بدلا من هذا أظهروهم وهم متصفون بالنقائض وبالجهل بالله وبالوحى .

وفى رأينا أن السبب فى ذلك إنما هو التحريف الذى حدث فى الكتاب المقدس مما جعل أعداء الأنبياء يظهرونهم فى هذه الصورة المنكرة .

---

(١٩) نفس المرجع السابق ص ٥٥ .

(٢٠) نفس المرجع السابق ص ٦٥ .

ولهذا نرى الكاتب يصرح بذلك فى جرأة فائقة فيقول: «من أجل ذلك امتلأ العهد القديم برائحة الجيف المتعفنة فى البرارى تفوح برائحة الموت الكريهة وشر الإنسان ووحشيته»[٢١] .

ولهذا نرى أنه ينبغى لنا التعرض لمسألة تحريف الكتاب المقدس إتماما لموقف الطائفتين ـ اليهود والنصارى ـ من الأنبياء وإبراز الحقيقة ديانتيهما وما أصابهما من التغيير والتبديل .

تحريف الكتاب المقدس :

يتضح لنا من خلال ما عرضناه فيما سبق من موقف الكتاب المقدس من أنبياء وتصويرهم بهذه الصورة التى تتنافى مع ما لهم من العصمة والكرامة يتضح لنا أن هذا الكتاب المقدس قد أصابه التحريف وأنه لا يمكن أن يكون هو التوراة التى أنزلت على موسى ولا الإنجيل الذى أنزل على عيسى وإن كان بعض الكتاب المسيحيين يحاول الدفاع عن ذلك والدعوى بأن الكتاب المقدس لم يحرف .

وفى رأينا أن مسألة تحريف الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) مسألة لا تحتاج إلى تدليل عليها لأن هذه حقيقة يدركها أى قارىء لهذا الكتاب فما أن يمضى بضع صفحات فى قراءته حتى تتراءى له تلك الحقيقة واضحة كالعيان وماثلة أمام عينيه فى كل صفحات الكتاب. ويكفى فى ذلك موقفه من أنبياء الله وتصويرهم بهذه الصورة التى عرضناها فيما سبق .

ونحن سنكتفى هنا ـ بذكر بعض فقرات مما كتبه بعض المسيحيين فى هذا الموضوع والتعليق عليها ليتبين لنا أن مسألة الدفاع عن تحريف الكتاب المقدس مسألة واهية لا تحتاج فى دفعها إلى كبير عناء .

يقول القس «صموئيل مشرقى» فى كتابه «عصمة الكتاب المقدس واستحالة تحريفه» فى معرض دفاعه عن عصمة الكتاب المقدس: «لأن كتابات التوراة والإنجيل قد نزلت على أنبياء ورسل عديدين قد بلغوا أربعين شخصا وقد استغرقت التوراة «العهد القديم» نحو ألف

---

(٢١) نفس المرجع السابق ص ٢٩ .

سنة فى كتابتها وقد تمت كتابة الإنجيل «العهد الجديد» خلال عدة قرون أخرى وليس هذا بالأمر الهين .

وقد بدأ موسى كليم الله منذ ثلاثة آلاف سنة بكتابة التوراة مبتدئا بأسفارها الخمسة الأولى المنسوبة إليه وكان ذلك بطريقتى «الإعلان المباشر» فيما يختص بالحقائق التى لم تكن معروفة من قبل و«التاريخ المقدس» وهو ما قام بتدوينه بأمر الله بعد أن نشأت العلاقة بينه - تعالى - وبين شعبه» فكتب تاريخهم كما كتب مخارجهم برحلاتهم حسب قول الرب»[٢٢] . يشير الكاتب - فى هذا - النص إلى دعويين أساسيتين :

١ - الدعوى الأولى هى أن كتابة الكتاب المقدس قام بها أنبياء عديدون .
٢ - الدعوى الثانية أن موسى - كليم الله هو الذى قام بكتابة الأسفار الخمسة المنسوبة إليه والأسفار الخمسة التى يشير إليها الكاتب هى - سفر التكوين - والخروج - والتثنية - والعدد - واللاويين .

أما الدعوى الأولى فهى - تحمل فى طياتها - عوامل رفضها ونقضها. وذلك لأن الكتاب المقدس نفسه ينفى العصمة عن الأنبياء ويثبت لهم الكذب والخيانة والغش والخداع وغير ذلك من أنواع المعاصى.

واليهود والنصارى مجمعون على ذلك . وقد عرفنا موقفهم من الأنبياء من خلال عرضنا السابق لهم - بل إن النصارى يزيدون على ذلك ويرمونهم بالجهل بالله وبالوحى وبأنهم قد نطقوا بكلمات الوحى من غير أن يدركوها وأنهم قد تنبئوا من غير أن يعرفوا عن أى شئ تنبئوا ولا شك أن من هذه صفتهم لا يمكن أن يكونوا معصومين فيما يقولونه ومؤتمنين فيما يبلغونه اللهم إلا إذا ألغينا عقولنا وتفكيرنا وتجردنا من كل المقاييس العقلية التى تميز الإنسان وتكون حقيقته وجوهره بكونه إنسانا .

فأهل الكتاب بموقفهم هذا من أنبياء الله عز وجل - قد هدموا كل حقيقة عقلية أو دينية. وبالتالى أصبحت دعوى عصمة الكتاب المقدس دعوى باطلة لأن الذين قاموا بكتابته غير

---

(٢٢) عصمة الكتاب المقدس واستحالة تحريفه للقس صموئيل مشرقى ص ١٧ ط القاهرة سنة ١٩٨٠ .

معصومين لأنه قد ثبتت لهم صفات الكذب والخيانة والخداع والغش فيكونون بذلك قد نقضوا أساس دينهم بأنفسهم .

أما الدعوى الثانية وهى أن موسى هو الذى كتب الأسفار الخمسة بنفسه فهى دعوى مرفوضة أيضا ـ يعرف ذلك من قرأ هذه الأسفار الخمسة . وذلك لأن هذه الأسفار تتحدث عن موسى بصيغة الغائب لا بصيغة الحديث عن النفس مما يدل على أن الكتابة قد حدثت بعد موسى قام بها مؤرخون قد كتبوا هذا التاريخ من ذاكرتهم فجاء فيه الخطأ والصواب واختلط فيه الحق بالباطل .

بل إن هناك دليلا أقوى من هذا وأظهر وذلك أننا نجد هذه الأسفار التى تنسب كتابتها إلى موسى ـ حديثا عن موت موسى ودفنه وأن قبره غير معروف إلى اليوم وأنه لم يظهر بعد موسى رجل مثله وأن بنى إسرائيل بكوا موسى ثلاثين يوما . ولا يمكن أن يصدق عقل أن موسى هو الذى كتب هذا عن نفسه بعد موته .

ونحن سننقل هنا بعض النصوص ـ وهى كثيرة جدا إن لم نقل جل هذه الأسفار على هذا النمط ـ لندلل بها على صحة ما نقول :

فكثيرا ما نجد فيها مثل هذه العبارات: «وأوصى موسى وشيوخ إسرائيل الشعب» «ثم كلم موسى والكهنة اللاويون جميع إسرائيل قائلين» «ودعا موسى جميع إسرائيل وقال لهم ...»

وجاء فى سفر التثنية الإصحاح الحادى والثلاثين: «أمر موسى اللاويين حاملى تابوت عهد الرب قائلا: خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهدا عليكم لأنى عارف تمردكم ورقابكم الصلبة هو ذا وأنا بعد حى معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرى بعد موتى. اجمعوا إلى كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق فى مسامعكم بهذه الكلمات .

فنطق موسى فى مسامع كل جماعة إسرائيل بكلمات هذا النشيد»[٢٣] .

---

(٢٣) الكتاب المقدس سفر التثنية الإصحاح الحادى والثلاثين .

فلا شك أن من يقرأ هذه النصوص بل وكل نصوص الأسفار الخمسة يدرك بأن هناك من يؤرخ لموسى وما حدث معه وما أخبر به لا أن موسى هو الذى كتب ذلك يدلنا على ذلك ـ أيضا ـ ما جاء فى سفر التثنية «وصعد موسى من «عربات مُوآب» إلى جبل «نَبْو» إلى رأس الفسحة الذى قبالة «أريحا» فأراه الرب جميع الأرض من «جِلْعَادَ» إلى «دَان» وجميع «نِفْتَالى ِ» وأرض «أفرايم» و «مَنَسَّى» وجميع أرض يهوذا» إلى البحر الغربى والجنوب والدائرة «نَقعة أريحا» مدينة النخل إلى «صُوغَر» .

وقال له الرب : هذه هى الأرض التى أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلا لنسلك أعطيها قد أريتك إياها بعينك. ولكن إلى هناك لا تعبر .

فمات ـ هناك ـ موسى عبدالرب فى أرض «موآب» حسب قول الرب ودفن فى الجواء فى أرض «مُوآب» مقابل بيت «فَغُور» ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم . وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته فبكى بنـو إسرائيل موسى فى «عربات مُوآب» ثلاثين يوما فكملت أيام بكاء مناحة موسى» .

« ... ولم يقم بعدُ نبى فى إسرائيل[٢٤] مثل موسى الذى عرفه الرب وجها لوجه فى جميع الآيات والعجائب ..»

ولا ريب أن هذا النص قاطع وصريح فى أن موسى لم يكتب هذه الأسفار وإنما كتبها ـ كما قلنا ـ مؤرخون أرخو لموسى وما حدثِ له وما أخبر به بل إن فى النص ما يشعر بأن هؤلاء المؤرخين الذين كتبوا هذه الأسفار كانوا متأخرين عن موسى بزمن بعيد يسمح بجهل قبره ومكانه فإن جهل قبر رجل عظيم كموسى كان له تأثير بالغ فى حياة بنى إسرائيل لا يمكن أن يحدث عن قرب وبسهولة بل لا بد أن يكون قد تقادم عليه العهد حتى جهل مكانه .

ولذلك لا ندرى ما المقصود باليوم الذى تشير إليه «عبارة «ولم يعرف قبره إلى هذا اليوم» وأيضا عبارة «ولم يقم بعدُ نبى فى إسرائيل مثل موسى» دليل قاطع ـ أيضا ـ على صدق ما نذهب إليه .

---

(٢٤) الكتاب المقدس سفر التثنية الإصحاح الرابع والثلاثون .

فإذن القول بأن هذه التوراة الحالية والموجودة بين أيدينا هى من كتابة نبى الله موسى ـ عليه السلام ـ ضرب من المكابرة والاستخفاف بالعقل لا يمكن قبوله .

وأما عن الإنجيل ـ وهويمثل جزءا من الكتاب المقدس .. فيقول الكاتب: «... فإنه ـ من المعلوم أن المسيح نفسه لم يكتب شيئا . وما الإنجيل الذى دعا إليه فى أعقاب دعوة المعمدان سوى بشارة التوبة والإيمان بملكوت الله وكان يقدمه شفاها دون أن يكون تنزيلا مكتوبا كما يتراءى لمن يطعن فى الانجيل باطلا بقوله: بأن الإنجيل الصحيح هو الذى نزل على المسيح لا الذى كتب عنه من بعده بزعم أن الأناجيل التى كتبت عنه ليست هى الإنجيل مع ما فى ذلك من بطلان لأن الأناجيل الأربعة إنما هى إنجيل واحد قام بكتابته أربعة بشيرين كل من زاويته الخاصة...»(٢٥) .

هذا النص يشير إلى نقطتين أساسيتين :

١ ـ النقطة الأولى هى اعتراف الكاتب بأن المسيح جاء بإنجيل وأن هذا الإنجيل ليس فيه إلا التوبة والإيمان بملكوت الله ـ عز وجل ـ وهذا القول حق لأن المسيح جاء ـ كغيره من الرسل ـ يدعو إلى الإيمان بالله وتوحيده وهذا هو دين الله الذى جاء به الرسل جميعا من عند الله عز وجل . والمسيح شأنه فى ذلك شأن غيره من الرسل فهو ليس بدعا فى هذا وهذا الإنجيل الذى جاء به عيسى هو الذى صدقه القرآن الكريم كما صدق التوراة التى جاء بها موسى عليه السلام . وهو كتاب النصرانية الصحيحة لأنه مما ينبغى ألاّ يقبل الجدل أن أساس أى دين سماوى آت من الله عز وجل هو كتابه الذى جاء به رسول هذا الدين لا ما تدخلت فيه عقول البشر واجتهاداتهم .

ومعلوم أن هذا الإنجيل ليس فيه تثليث ولا دعوة إلى بنوة عيسى لله ـ سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ـ ولا دعوة إلى ألوهيته ـ لأنه ـ كما يذكر الكاتب ـ ليس فيه إلا بشارة التوبة والإيمان بملكوت الله» .

(٢٥) عصمة الكتاب المقدس واستحالة تحريفه للقس صموئيل مشرقى ص ١٨ وما بعدها .

وهذا اعتراف ضمني بتحريف الأناجيل الأخرى التى فيها بنوة عيسى أو ألوهيته لأن المفروض فى الدين أن يستمد أصول عقيدته من رسوله الذى أتى به وعيسى ما أتى إلا ببشارة التوبة والإيمان بملكوت الله ـ عز وجل .

٢ ـ النقطة الثانية هى أن الأناجيل الأربعة كتبت بعد المسيح بمدد متفاوتة وكل كاتب كتب من زاويته الخاصة فتكون هذه الأناجيل هى أيضا تأريخا لحياة المسيح وما حدث له أو أخبر به. وكل كاتب أملى من ذاكرته بحسب ما تيسر له ولذلك جاء فيها ما هو باطل وما هو حق ومن هنا حدث التناقض والاختلاف .

فدعوى أن الأناجيل الأربعة إنجيل واحد كتبها أصحابها بوحى من الله دعوى باطلة لأن التناقض والاختلاف الموجـود بيـن هذه الأناجيل يثبتان بطلان هذه الدعوى. فمثلا الأناجيل التى تتحدث عن سلسلة نسب المسيح كل منها يذكر سلسلة تغاير السلسلة الأخرى(٢٦) فى نسب المسيح وأيضا عندما تحدثت هذه الأناجيل عن قيامة المسيح من قبره وظهوره لتلاميذه تضاربت أقوال هذه الأناجيل واختلفت فيما بينها اختلافا كبيرا(٢٧).

فلا يمكن أن تكون هذه الأناجيل كتبها أصحابها بوحى من الله ويحدث بينهـا هذا التناقض والاختلاف لأن ما كان من عند الله لا يمكن أن يتناقض أو يختلف .

وبالتالى لا تكون هذه الأناجيل معصومة من الخطأ بل هى تاريخ لحياة المسيح فيه الخطأ وفيه الصواب، كتبها أصحابها كل من زاويته الخاصة ـ كما يقول الكاتب ـ وبذلك تفقد المسيحية الحالية جوهر الدين الحق وهو كتاب موحى به من الله عز وجل الذى أنزل هذا الدين ليتعبد به عباده البشر .

إذن فالكتاب المقدس الذى هو بين أيدينا الآن كتاب محرف قد حدث فيه تحريف بأى نوع من أنواع التحريف بالحذف أو التغيير فدعوى عصمته بعد ذلك دعوى باطلة يكذبها العقل والواقع .

---

(٢٦) يراجع فى ذلك سلسلة نسب المسيح فى أول الأناجيل .
(٢٧) يراجع قيامة المسيح من قبره فى هذه الأناجيل .

الأنبياء فى الإسلام :

صورة الأنبياء عند علماء المسلمين :

عرفنا - فيما سبق - نظرة اليهود والنصارى إلى الأنبياء وأنها نظرة فيها من الشين والمهانة ما فيها لأنهم نسبوا إليهم أشياء تحط من شأنهم وتنتقص من أقدارهم فى أعين الناس فالأنبياء عندهم ليسوا معصومين وبذلك يكونون - بهذا التصور - قد أخرجوا أنبياءهم وأبعدوهم عن دائرة النبوة وفى هذا مناقضة للعقل والواقع.. يقول الأستاذ/ وحيد الدين خان.

«فى رأيى أنه لا بد من مقياسين لاختبار الأنبياء:

أولا : أن يكون رجلا مثاليا بصورة غير عادية فإن الذى يصطفى ليكون كليم الله. وليكشف للإنسان برنامج الحياة وسرها لا بد أن يكون أسمى شخصية فى النوع الإنسانى كما لا بد أن يكون حاملا مثل الحياة العليا . فإذا كانت حياته الذاتية متصفة بهذه الصفات فهى أكبر دليل على ما يقول. إذ لوكانت دعواه باطلة لما كان ممكنا أن تتجلى هذه الحقيقة الكبرى فى حياته الذاتية حتى تسمو به فوق سائر الإنسانية خلقا وشمائل .

ثانيا : أن يكون كلامه ورسالته مملوءين بجوانب يستحيل حصولها للإنسان العادى ولا تؤمل إلا ممن ظفر بمعرفة رب الكون بحيث لا يمكن للعامة محاكاة ما جاء به النبى من وحى الله»(٢٨) .

ونحن إذا ما أخذنا هذا المقياس العلمى الذى يذكره الأستاذ/ وحيد الدين خان وطبقناه على ما لدى اليهود والنصارى من تصور للأنبياء - على ما يعطيه كتابهم المقدس - لوجدناهم بعيدين كل البعد عن حقيقة الأنبياء بهذا المفهوم .

ولذلك ينبغى لنا أن نتعرف على موقف الإسلام من هذه القضية الجليلة التى لها خطرها فى شأن العقيدة وفى اتباع ما أتوا به لهداية البشرية حتى يتبين لنا وجه الحق فى ذلك .

يقول الأستاذ/ محمد رشيد رضا فى كتابه «الوحى المحمدى»: «إذا كان إرسال الأنبياء إلى

---

(٢٨) الإسلام يتحدى للأستاذ/ وحيد الدين خان ص ١٥٨ .

البشر لهدايتهم إلى تزكية نفوسهم بما تصلح به أحوالهم فى دنياهم ويستعدون به لحياة أعلى من هذه الحياة الدنيا فى نشأة أخرى فلا يتم هذا الغرض ولا تتحقق هذه الحكمة إلا إذا كان هؤلاء الأنبياء أهلا لأن يقتدى بهم فى أعمالهم وسيرتهم والتزام الشرائع والآداب التى يبلغونها عن ربهم . ومن ثم قال علماؤنا بوجوب عصمة الأنبياء من المعاصى والرذائل وبالغ بعضهم فيها حتى قالوا بعصمتهم من الذنوب الصغائر كالكبائر قبل النبوة وبعدها»(٢٩) .

ويقول القرطبى: «اختلف العلماء هل وقع من الأنبياء ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ صغائر من الذنوب ـ بعد اتفاقهم على أنهم معصومون من الكبائر ومن كل رذيلة فيها شين ونقص إجماعا .

فقال جمهور الفقهاء إنهم معصومون من الصغائر كلها كعصمتهم من الكبائر أجمعها لأن أمرنا باتباعهم فى أفعالهم وآثارهم وسيرهم أمرا مطلقا من غير التزام قرينة فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم . إذ ليس كل فعل من أفعالهم يتميز مقصده من القربة والإباحة أو الحظر والمعصية» .

وقال أبو إسحاق الأسفراييني من علماء أهل السنة لا يقع من الأنبياء ذنوب لأنهم معصومون من الكبائر والصغائر وذلك مقتضى دليل المعجزة. وقال بعضهم بوقوع الصغائر منهم ولا أصل لهذه المقالة. والذى عليه الأكثر أن ذلك غير جائز عليهم»(٣٠) .

وهذا يدلنا على أن نظرة علماء الإسلام إلى أنبياء الله ـ عز وجل ـ على أنهم هم صفوة الخلق وأكملهم وأفضلهم ولذلك فهم مجمعون على أنهم معصومون من الكبائر كلها بل وذهب جمهورهم إلى أنهم معصومون من الصغائر كعصمتهم من الكبائر .

وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل وهى أن صورة أنبياء الله ـ عز وجل ـ التى تعيش فى وجدان علماء الأمة الإسلامية وفى تفكيرهم هى صورة النقاء والطهر فى أعلى درجاتها. فهم يجب لهم كل كمال إنسانى .

---

(٢٩) الوحى المحمدى ص ٥٠ .

(٣٠) تفسير القرطبى جـ ١ ص ٣٠٨ .

حتى إن من جوَّز حدوث هفوات منهم أخبر بأن ذلك سيئات بالنسبة لهم لأنهم فى قمة الكمال الإنسانى ولكنه حسنات بالنسبة لنا ولذلك فهذا لا يقدح فى أقدارهم ولا يخل بمناصبهم كأنبياء لله ـ عز وجل ـ جاءوا ليقتدى بهم البشر وليتبعوهم فى كل ما أتوا به .

فما إن تقع الهفوة من أحدهم حتى يسارع إلى التوبة والإنابة إلى الله ـ عز وجل والاستغفار من ذلك فيقبل الله توبته وإنابته ويغفر له هفوته .

يقول القرطبى فى ذلك :

« ...وقال بعض المتأخرين: الذى ينبغى أن يقال إن الله ـ تعالى قد أخبرنا بوقوع ذنوب من بعضهم ونسبها إليهم وعاتبهم عليها وأخبروا بها عن أنفسهم وتنصلوا منها وأشفقوا منها وتابوا .

وكل ذلك مما لا يزرى بمناصبهم وإنما وقعت على جهة الخطأ والنسيان فهى بالنسبة إلى غيرهم حسنات وفى حقهم سيئات. ولقد أحسن الجنيد حيث يقول: «حسنات الأبرار سيئات المقربين»[٣١] .

هذه صورة أنبياء الله ـ عند علماء الأمة الإسلامية ـ وهى صورة طاهرة نقية تتناسب مع أقدارهم ورسالاتهم التى جاءوا بها للبشر لهدايتهم ، وهى صورة مستمدة من القرآن الكريم وهو كتاب الله الخاتم الذى نزه الأنبياء عن النقائص وأثنى عليهم ثناء حسنا وبرأهم مما نسبه إليهم اليهود والنصارى من المعاصى والنقائص المخلة بمكانتهم .

ونحن سنذكر هنا ـ طرفا من نصوص القرآن الكريم التى تحدث فيها عن أنبياء الله الكرام لندرك الفارق بين الصورتين. الصورة التى يرسمها الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى. والصورة التى يرسمها لهم القرآن الكريم والصورتان متناقضتان تناقض الباطل والحق .

---

(٣١) تفسير القرطبى جـ ١ ص ٣٠٩ .

صورة الأنبياء فى القرآن الكريم :

يقول الله - عز وجل - فى الرسل جميعا :

« ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ »(٣٢) .

ويقول : « سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ .»(٣٣) .

وكقوله تعالى : « أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ..»(٣٤)

(٣٢) الحج آية ٧٥ .

(٣٣) الصافات آية ١٨٠ وما بعدها .

(٣٤) مريم آية ٥٨ .

ويقول فى «هارون» ليبرئه من التهمة التى رماه بها اليهود من صناعة العجل وعبادته فيثنى عليه ويذكر أن الذى صنع العجل هو السامرى وأن هارون نصح بنى اسرائيل ولكنهم لم يسمعوا له قولا

قال الله تعالى : « قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ
بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا
فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا
لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾
أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا
وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ
إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟
أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا
مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾
أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ..»[٣٥] .

---

(٣٥) طه من آية ٨٧ إلى آية ٩٠ .

ويقول فيه أيضا وفى موسى : « سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ »(٣٦) .

ويقول فى لوط الذى اتهمه الكتاب المقدس بأنه سكر وزنى بابنتيه :

« وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ »(٣٧) .

ويقول فى داود الذى اتهمه الكتاب المقدس ـ أيضا بأنه زنى بزوجة أحد جنوده وألقى به فى أتون الحرب لكى يتخلص منه ليأخذ زوجته :

قال الله تعالى : « ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ

(٣٦) الصافات من آية ١٢٠ إلى ١٢٢ .

(٣٧) الأنبياء آية ٧٤ ، ٧٥ .

مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً
كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ
وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ »[٣٨] .

ويقول فى سليمان الذى اتهموه بصناعة التماثيل وعبادتها من دون الله :

« وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ »[٣٩] .

ويقول فيه أيضا : « وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ »[٤٠]

هذا طرف يسير مما ورد فى القرآن الكريم بشأن الأنبياء الذين اصطفاهم ـ عز وجل ـ لحمل رسالاته إلى الناس لهدايتهم وإرشادهم وفيه تبدو صورتهم بيضاء مشرقة تتناسب والهدف الذى أرسلوا من أجله وهو دعوة الناس إلى الحق وإلى التسامى فوق النقائص والرذائل وإلى تزكية نفوسهم من الذنوب والمعاصى .

والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

---

(٣٨) ص من آية ١٧ إلى آية ١٩ .
(٣٩) ص آية ٣٠ .
(٤٠) ص آية ٤٠ .

مراجع البحث

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ تفسير القرطبي .

٣ ـ الكتاب المقدس .

٤ ـ النبوة والأنبياء للمهندس أحمد عبدالوهاب .

٥ ـ صورة الله . لمكس ميشـيل .

٦ ـ عصمة الكتاب المقدس للقس صموئيل مشرقى .

٧ ـ الإسـلام يتحـدى للأستاذ/ وحيد الدين خان .

٨ ـ الوحـى المحمـدى للأستاذ/ محمد رشيد رضـا .

٩ ـ الرسـالة والرسـالات للأستاذ / عمر سليمان الأشقر .